

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تَفْسِيرُ

حُجْرَةُ عِصْمَتِهَا

[سُورَتِي: الْعَلَقِ، وَالْقَدْرِ]

www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَي سُوْرَةِ الْعَلَقِ

* سُوْرَةُ الْعَلَقِ، وَتُسَمَّى (سُوْرَةُ اِفْرَأْ) مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تُعَالِجُ الْقَضَايَا الْآتِيَّةَ:

أَوَّلًا: مَوْضُوعُ بَدْءِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثَانِيًا: مَوْضُوعُ طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ بِالْمَالِ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى أَوْامِرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

ثَالِثًا: قِصَّةُ الشَّقِيَّ (أَبِي جَهْلٍ) وَنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ، عَنِ الصَّلَاةِ، وَمَا نَزَلَ فِي حَقِّهِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّوْرَةُ بَيَانِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، بِإِنزَالِهِ هَذَا الْقُرْآنَ (الْمُعْجِزَةَ الْخَالِدَةَ) عَلَيْهِ، وَتَذْكِيرِهِ بِأَوَّلِ النِّعَمَاءِ، وَهُوَ يَتَعَبَّدُ رَبَّهُ بِغَارِ حِرَاءَ، حَيْثُ تَنَزَّلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِآيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِالْقُوَّةِ وَالثَّرَاءِ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى أَوْامِرِ اللَّهِ، بِسَبَبِ نِعْمَةِ الْغِنَى، وَكَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ رَبَّهُ عَلَى أَفْضَالِهِ، لَا أَنْ يَجْحَدَ النِّعَمَاءَ، وَذَكَرَتْهُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى رَبِّهِ لِيُنَالَ الْجَزَاءَ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾.

* ثُمَّ تَنَاولَتْ قِصَّةَ الشَّقِيِّ (أَبِي جَهْلٍ) فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّذِي كَانَ يَتَوَعَّدُ
الرَّسُولَ ﷺ وَيَتَهَدَّدُهُ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ، انْتِصَارًا لِلْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ﴿أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى ﴿١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِوَعِيدِ ذَلِكَ الشَّقِيِّ الْكَافِرِ، بِأَشَدِّ الْعِقَابِ إِنْ اسْتَمَرَ عَلَى
ضَلَالِهِ وَطُغْيَانِهِ، كَمَا أَمَرَتِ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ، بِعَدَمِ الْإِصْغَاءِ إِلَى وَعِيدِ ذَلِكَ
الْمُجْرِمِ الْأَثِيمِ ﴿كَلَّا لَنْ لَمَبْتَهٍ لِّلنَّاصِيَةِ﴾ إِلَى خِتَامِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ
وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝﴾.

* وَقَدْ بَدَأَتِ السُّورَةُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْقِرَاءَةِ وَالتَّعَلُّمِ، وَخُتِمَتِ بِالصَّلَاةِ
وَالْعِبَادَةِ، لِيَقْتَرِنَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، وَيَتَنَاسَقَ الْبَدْءُ مَعَ الْخِتَامِ، فِي أَرْوَعِ صُورِ الْبَيَانِ.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

سُورَةُ الْعَلَقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعَةٌ عَشْرَةٌ آيَةً

الآيَاتُ مِنْ: ١ إِلَى: ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ⑥ إِنَّ رَبَّهُ اسْتَمَعَ ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ⑧﴾ .

تفسير الآيات (١):

قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وَسُورَةُ الْعَلَقِ: هِيَ سُورَةٌ (اقْرَأْ)، وَهِيَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢).

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: اقْرَأْ مُتَلَبِّسًا بِاسْمِ رَبِّكَ، مُبْتَدَأًا بِهِ، مُفْتَتِحًا مُسْتَعِينًا.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَصَّ الْإِنْسَانَ؛ تَشْرِيفًا، فَذَكَرَهُ تَحْدِيدًا.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: وَالْعَلَقُ: جَمْعٌ، أَوْ اسْمُ جَمْعٍ، وَالْمُفْرَدُ: عَلَقَةٌ، وَالْعَلَقَةُ: الدَّمُ الْجَامِدُ، وَهِيَ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِجِ الْخَلْقِ فِي الرَّحِمِ، تَعْلُقُ بِجِدَارِهِ، فَيَنْشِئُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَبْرَأُهَا.

(١) «تفسير البغوي» (٨ / ٤٧٩)، و«تفسير ابن كثير» (٨ / ٤٣٧)، و«فتح القدير» (٥ / ٥٧٠ - ٥٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» في (كتاب بدء الوحي، باب ١، رقم ٣) وفي مواضع، و«صحيح مسلم» في (كتاب الإيمان، باب ٧٣، رقم ١٦٠)، بلفظ: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ جَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ...» الحديث.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ مِنْ كُلِّ كَرِيمٍ.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: وَمِنْ كَرَمِهِ: أَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: فَتَارَةً يَكُونُ الْعِلْمُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ وَالْبَنَانِ، فَالْعِلْمُ: ذَهْنِيٌّ، وَلَفْظِيٌّ، وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيٌّ يَسْتَلْزِمُ الذَّهْنِيَّ، وَاللَّفْظِيٌّ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ.

«اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الْمُتَفَرِّدِ بِالْخَلْقِ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ قِطْعَةٍ دَمٍ غَلِيظٍ رَطْبٍ.

اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَاسِعُ الْجُودِ، الَّذِي عَلَّمَ خَلْقَهُ الْكِتَابَةَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَنَقَلَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ» (١).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾: ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ، وَزَجْرٌ لِمَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ بِسَبَبِ طُغْيَانِهِ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾: يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى رَبِّهِ.

﴿أَنْ﴾ لَأَنَّ ﴿رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾: رَأَى نَفْسَهُ قَدْ اسْتَغْنَى، طَغَى وَتَكَبَّرَ، وَجَاوَزَ الْحَدَّ وَتَجَبَّرَ، فَعِلَّةُ الطُّغْيَانِ: أَنْ رَأَى نَفْسَهُ مُسْتَغْنِيًّا، وَالرُّؤْيُ هُنَا: الْعِلْمُ، ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾: الرُّجْعَى: المَرْجِعُ، والمَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ.

«حَقًّا؛ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حُدُودَ اللَّهِ إِذَا أَبْطَرَهُ الْغِنَى، فَلْيُعْلَمَ كُلُّ طَاعِيَةٍ أَنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ»^(١).

جامعة

(١) «التفسير الميسر» (ص ٥٩٧)، بلفظ: «...، فَلْيُعْلَمَ كُلُّ طَاعِيَةٍ أَنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ، فيجازي كلَّ إنسان بعمله».

المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ^(١):

وَالْخِطَابُ بِكَلِمَةٍ: ﴿اقْرَأْ﴾ مُوجَّهٌ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ أَوَّلَ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ؛ إِذْ كَانَ يَتَعَبَّدُ ﷺ فِي غَارٍ حَرَاءٍ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ بِوَحْيِ اللَّهِ، وَابْتَدَأَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أَي: اقْرَأْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، ثُمَّ خَصَّ الْإِنْسَانَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِشَرَفِهِ، وَلِأَنَّهُ هُوَ الْمُخَاطَبُ بِالتَّنْزِيلِ.

وَأَخَذَ يُفَصِّلُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ عَلَقٍ، ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْإِنْسَانِ: الْجَمِيعَ، وَالْإِنْسَانُ هُوَ ابْنُ آدَمَ، ثُمَّ كَرَّرَ الْأَمْرَ لَهُ بِالْقِرَاءَةِ؛ لِلتَّأْكِيدِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: الْبَالِغُ أَفْصَى حُدُودِ الْحِلْمِ وَالْكَرَمِ، فَلَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى عِبَادِهِ، بَلْ يَغْفُو وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

وَمِنْ عَظِيمِ نِعَمِهِ وَكَرَمِهِ: أَنَّهُ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنَقَلَهُ بِذَلِكَ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، وَلَوْ لَا الْكِتَابَةُ لَمَا دُونَتِ الْعُلُومُ، وَلَمَا اسْتَقَامَتِ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: بِالْكِتَابَةِ، عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ.

(١) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٤٣٧)، و«فتح القدير» (٥ / ٥٧٠ - ٥٧٢).

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ الْإِنْسَانِ وَجَهْلِهِ، وَمِنْ دَلَائِلِ ذَلِكَ الْجَهْلِ: أَنَّ الْغِنَى يُطْغِيهِ، وَبَدَأَ رَبُّنَا ذِكْرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا﴾؛ زَجْرًا وَرَدْعًا، حَقًّا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا رَأَى نَفْسَهُ كَثِيرَ الْمَالِ، وَاسِعَ الثَّرْوَةِ، يَرْفُلُ^(١) فِي النِّعِيمِ؛ طَغَى وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ، وَتَمَرَّدَ وَبَغَى وَتَكَبَّرَ.

قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ، وَمَا بَعْدَهَا فِي أَبِي جَهْلٍ، وَقَدْ تَوَعَّدَهُ اللَّهُ؛ سَوَاءٌ كَانَ أَبَا جَهْلٍ أَوْ غَيْرُهُ بِمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَزْجُرَهُ، قَائِلًا: إِنَّ الْمَرْجِعَ وَالْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ، وَسَوْفَ يُحَاسَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ مَالِهِ: مِنْ أَيْنَ جَمَعَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟^(٢).



جامعة

(١) (يَرْفُلُ) أَيُّ: يَتَبَخَّرُ، انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٤٧) مادة: (رَفَلَ).

(٢) أخرج الترمذي في «جامعه» في (كتاب صفة القيامة، باب ١، رقم ٢٤١٧)، من حديث:

أَبِي بَرَزَةَ نُضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»

(رقم ١٢٦، و٣٥٩٢).

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ (١):

- ١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، وَإِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَمَشْرُوعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢- وَفِيهَا: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: الْأَمْرُ لَهُ بِالْقِرَاءَةِ بِاسْمِ خَالِقِ الْأَكْوَانِ، وَفِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ نِعْمَةٌ وَفَضْلٌ لِأُمَّتِهِ ﷺ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.
- ٣- وَفِي الْآيَاتِ: امْتِنَانُ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِإِيْجَادِهِ مِنَ الْعَدَمِ.
- ٤- وَفِيهَا: بَيَانُ بَعْضِ أَطْوَارِ خَلْقِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَتَطَوُّرُ النُّطْفَةِ فِي الرَّحِمِ إِلَى عُلْقَةٍ، وَمِنْهَا يَتَخَلَّقُ الْإِنْسَانُ فِي سَائِرِ أَطْوَارِ خَلْقِهِ.
- ٥- وَفِي الْآيَاتِ: وَصْفُهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَمِنْ كَرَمِهِ: أَنَّهُ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ، وَدُنْيَاهُ.
- ٦- وَفِي الْآيَاتِ: وَعِيدٌ لِمَنْ اسْتَعْمَلَ نِعَمَ اللَّهِ فِي مَعَاصِيهِ، وَنَسِيَ أَنَّ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ.

٧- وَفِيهَا: بَيَانُ طَبَعِ الْإِنْسَانِ إِذَا لَمْ يُهْدَبْ بِالتَّقَى وَالْإِيمَانِ.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الآيات من: ٩ إلى: (١٩) نهاية السورة

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ١٢
أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٣ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ١٤ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥
نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ
وَاقْتَرِبْ ١٩﴾

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

تفسير الآيات (١):

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾: أَخْبِرْنِي عَنْ ذَلِكَ الَّذِي يَنْهَى، وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ.

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أَخْبِرْنِي عَنِ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَضْرُوفًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَهُوَ عَامٌّ.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْعَبْدُ الْمَنْهِيُّ إِذَا صَلَّى عَلَى الْهُدَى.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى﴾: أَوْ أَمَرَ بِالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: يَعْنِي: النَّاهِي أَبَا جَهْلٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ النَّاهِي كَذَّابًا، قَدْ تَوَلَّى عَنْ سُبُلِ الْحَقِّ، وَالْهُدَى وَالرَّشَادِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾: يَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِ، فَيَجَازِيهِ بِهَا.

﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ لِلنَّاهِي، ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهِ لَسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: ﴿لَنْ﴾: اللَّامُ الْمُوْطِئَةُ

لِلْقَسَمِ.

وَالْمَعْنَى: وَاللَّهِ إِنَّ لَمْ يَنْتَه عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْزَجِرْ؛ ﴿لَسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: وَالسَّفْعُ: الْجَذْبُ الشَّدِيدُ، لِنَاخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ، وَالنَّاصِيَةُ: مُقَدَّمُ شَعْرِ الرَّأْسِ، وَلَنْجَرْنَهُ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَدَلَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، ﴿أَي: فَلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيِهِ.

﴿سَدْعُ الزَّانِيَةِ﴾: وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ الْغَلَاظُ الشَّدَادُ (١)، الْمُوَكَّلُونَ بِالْإِشْرَافِ عَلَى تَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ، ﴿سَدْعُ الزَّانِيَةِ﴾.

﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾: فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ وَالْخَيْرِ، ﴿وَأَسْجُدْ﴾: وَصَلِّ لِرَبِّكَ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ، ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: تَقَرَّبْ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، وَالْعِبَادَةِ.

«أَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ طُغْيَانِ الَّذِي يَنْهَى - وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ - عَبْدًا لَنَا إِذَا صَلَّى لِرَبِّهِ - وَهُوَ نَبِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْمَنْهِيُّ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْهُدَى؛ كَيْفَ يَنْهَاهُ؟! أَوْ إِنْ كَانَ أَمْرًا غَيْرَهُ أَيْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ؟! أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ هَذَا النَّاهِي بِمَا يُدْعَى إِلَيْهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى كُلَّ مَا يَفْعَلُ؟! لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَكِنَّ لَمْ يَرْجِعْ هَذَا عَنْ شِقَاقِهِ وَأَذَاهُ؛ [لِنَاخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ أَخْذًا عَنِيفًا، وَلِنَطْرَحْنَهُ فِي النَّارِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ فِي مَقَالِهَا، نَاصِيَةٍ خَاطِئَةٍ فِي أَفْعَالِهَا] (٢)؛

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥ / ٣٤٦).

(٢) في الأصل: [لِنَاخُذَنَّ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ أَخْذًا عَنِيفًا، وَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، نَاصِيَتُهُ نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ فِي مَقَالِهَا، خَاطِئَةٌ فِي أَفْعَالِهَا].

فَلْيُحْضِرْ هَذَا الطَّاعِيَةُ أَهْلَ نَادِيهِ الَّذِينَ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ، سَدَّعُوا مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ أَبُو جَهْلٍ، إِنَّهُ لَنْ يَنَالَكَ يَا مُحَمَّدٌ بِسُوءٍ، فَلَا تُطْعُهُ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَأُسْجُدْ لِرَبِّكَ، وَاقْتَرِبْ مِنْهُ [بِالتَّحَبُّ بِطَاعَتِهِ إِلَيْهِ] (١)» (٢).

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: «لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ لَأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ: لَوْ فَعَلْتُ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَيْنًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا». وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ فِي «تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ» (٤).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٥) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»

(١) في الأصل: [بالتحجب إليه بطاعته].

(٢) «التفسير الميسر» (ص ٥٩٧ - ٥٩٨).

(٣) «المسند» (١/ ٢٤٨، رقم ٢٢٢٥، و ٢٢٢٥)، وفي مواضع، وأخرجه أيضا البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩٦: باب ٤، رقم ٤٩٥٨)، بلفظ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَّانَ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ. فَقَالَ: «لَوْ فَعَلْتُهُ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ»، وفي رواية للترمذي في «جامعه» في (كتاب التفسير، باب ٨٥: ٢، رقم ٣٣٤٩) بلفظ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتُهُ رَبَانِيَةُ اللَّهِ».

(٤) «المسند» (٣/ ٢٤، رقم ٢٢٢٥، و ٢٢٢٦، دار الحديث - القاهرة).

(٥) «صحيح مسلم» في (كتاب صفات المنافقين، باب ٦، رقم ٢٧٩٧).

قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعْفِرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي؛ - زَعَمَ - لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ. قَالَ: فَمَا فَجَّئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»، قَالَ: [فَنَزَلَتْ] (١).

جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhaj-un.com

(١) في الأصل: [فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ].

المعنى الإجمالي^(١):

يَذْكُرُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ طَرَفًا مِنْ عَدَاءِ أَبِي جَهْلٍ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَبِ الْأَقْرَبِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُبْتَدِئًا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾: أَلَا تُخْبِرُنِي إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِ، أَوْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، أَلَيْسَ يَكُونُ نَاهِيَهُ عَنِ الصَّلَاةِ هَالِكًا؟!

ثُمَّ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ هَذَا النَّاهِي بِصِغَةِ الاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ قَائِلًا: أَمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَى، وَيَعْلَمُ فِعْلَهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَتَهْدِيدَهُ وَنَجْوَاهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَيْهِ؟! ثُمَّ زَادَ فِي تَوَعُّدِ هَذَا النَّاهِي، وَتَهْدِيدِهِ قَائِلًا: إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْتَهُ عَنِ إِذَاءِ الرَّسُولِ وَتَكْذِيبِهِ؛ لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتُطَوَّى مَعَ قَدَمَيْهِ، وَيَطْرَحُ فِي النَّارِ، وَوَصَفَ نَاصِيَّةَ هَذَا الطَّاغِيَةِ بِأَنَّهَا نَاصِيَّةٌ كَاذِبَةٌ فِي قَوْلِهَا، خَاطِئَةٌ فِي فِعْلِهَا، وَالْمُرَادُ: صَاحِبُهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾: لِيَدْعُ قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، وَلَيْسْتَ تَنْصُرُ بِهِمْ إِنْ كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُ، وَأَمَّا نَحْنُ؛ فَإِنَّا ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ الْغَلَظِ الشَّدَادِ.

(١) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٤٣٨).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ - سَاعَتَهَا» (١).
 وَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِعُضَيَّانِ هَذَا النَّاهِي الْمُعْتَدِي، كَمَا أَمَرَهُ بِعِبَادَتِهِ تَعَالَى،
 وَالْإِقْتِرَابِ مِنْهُ، وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ لَهُ، وَعَبَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِجُزْءٍ مِنْهَا - وَهُوَ
 السُّجُودُ -؛ لِشَرَفِهِ وَعَظِيمِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ (١):

- ١- فِي الْآيَاتِ: الْإِنْكَارُ عَلَى مَنْ نَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ وَأَمَرَ بِالْمُنْكَرِ، وَوَعِيدُهُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَسَيُجَازِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ٢- وَفِي الْآيَاتِ: وَعِيدٌ مَنْ أَصَرَ عَلَى أَفْعَالِهِ الْقَبِيحَةِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِالْمَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ، وَالنَّوَاهِي بِأَنَّ اللَّهَ سَيُعْجِلُ لَهُ الْعُقُوبَةَ.
- ٣- الْأَمْرُ لِلرَّسُولِ ﷺ بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ، مَعَ تَسْجِيلِ لَعْنَةِ اللَّهِ عَلَى فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبِي جَهْلٍ، وَأَنَّهُ كَانَ أَظْلَمَ قُرَيْشٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَعَ بَيَانِ نَصْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِالْمَلَائِكَةِ جَهَارًا نَهَارًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.



بَيْنَ يَدَي سُوْرَةِ الْقَدْرِ

* سُوْرَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْ بَدْءِ نَزُولِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَعَنْ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ، لَا فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ الْقُدْسِيَّةِ، وَالتَّفَحَّاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّتِي يُفِيضُهَا الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ تَكْرِيماً لِنَزُولِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ.

* كَمَا تَحَدَّثْتُ عَنْ نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَيَأْتِيهَا مِنْ لَيْلَةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ، هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

سُورَةُ الْقَدْرِ

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْوَحْشَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ (١):

قَالَ تَعَالَى فِي «سُورَةِ الْقَدْرِ»:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: وَالْقَدْرُ: الشَّرَفُ وَالْعِظَمَةُ (٢).

«يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ» (٣).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، وَاسْتَعْنَى بِشَهْرَتِهِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَذَلِكَ يَعْرِفُهُ الْقَاصِي وَالِدَّانِي، وَالْخَاصُّ وَالْعَامُّ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: أَيِ الْقُرْآنِ ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾ وَمَا أَدْرَكَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: هِيَ لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُّخَانُ: ٤].

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: عَمَلٌ صَالِحٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٤).

(١) «تفسير البغوي» (٨ / ٤٨٢ - ٤٩٢).

(٢) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروز آبادي (٤ / ٢٤٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٤٤١).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤ / ٥٣٣)، بإسناد صحيح، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمَلَانِيِّ،

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ مَا لَيْلَةُ الشَّرَفِ وَالْقَدْرِ؟
﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ مُبَارَكَةٌ، [فَضْلُهَا خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ] (١) أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ قَدْرٍ (٢).
﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: وَالرُّوحُ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أَيُّ: بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ (٣).

في قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، قَالَ: «عَمَلٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ»، وهو قول أنس رضي الله عنه، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والشافعي، وغير واحد، واختاره ابن جرير الطبري، والفراء، والزمجج، وعزاه الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٧٥) لأكثر المفسرين.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٤٣): «وَهَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ - وَلَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ - هُوَ الصَّوَابُ لَا مَا عَدَاهُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ: «رِبَاطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ»، وَكَمَا جَاءَ فِي قَاصِدِ الْجُمُعَةِ بِهَيْئَةِ حَسَنَةٍ وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ: «أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُشَابِهَةِ لِذَلِكَ».

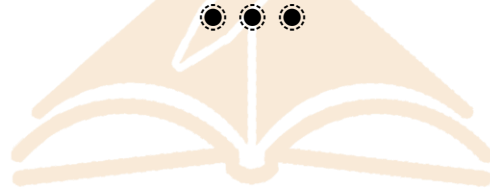
(١) في الأصل: [العمل الصالح فيها خير من عمل].

(٢) «التفسير الميسر» (ص ٥٩٨).

(٣) فيكون «مِنْ» بِمَعْنَى: «الْبَاءِ»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أَيُّ:

﴿سَلَّمَ هِيَ﴾: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ، وَخَيْرٌ كُلُّهَا ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، وَانْبِثَاقِهِ (١).

«فَيَكْثُرُ نُزُولُ الْمَلَائِكَةِ، وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ قَضَاهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمِنْ كُلِّهَا، لَا شَرَّ فِيهَا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» (٢).



بأمر الله، وقوله: ﴿يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ﴾ [غافرة: ١٥]، أي: بأمره.

وقد أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قَالَ: «يُقْضَى فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا»، واختاره ابن جرير الطبري، وقال: «فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ مُنْتَهَى الْخَبَرِ وَمَوْضِعُ الْوَقْفِ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾»، أي: قَدْ تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ أي: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ، «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٥٧٦).

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٥)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾، أي: «هِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»، وهو قول ابن زيد، وابن أبي ليلى، وروى عن مجاهد نحوه.

(٢) «التفسير الميسر» (ص ٥٩٨).

المعنى الإجمالي^(١):

يُخْبِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَغَيْرِهِ^(١)، قَالَ: «أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ

(١) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٤٤١)، و«تفسير السعدي» (ص ٩٣١، مؤسسة الرسالة).
(٢) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص ٦٤٥)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ٣٦٧ - ٣٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦ / رقم ٣٠١٨٧، مكتبة الرشد)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (رقم ٢٣٦٣، و٢٣٦٤)، والبخاري في «مسنده» (١١ / رقم ٥٠٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (٧ / ٢٤٧) و(١٠ / ٢٠٥، و٢٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٣ / ٤٤٥ - ٤٤٧) و(٢٤ / ٥٣١ - ٥٣٢) ومواضع، والطبراني في «الكبير» (١٢ / رقم ١٢٣٨١، و١٢٣٨٢، و١٢٤٢٦)، والحاكم في «المستدرک» (٢ / ٢٢٢، و٥٣٠، رقم ٢٨٧٧، و٣٩٥٨) ومواضع، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَلَفَظَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا أَنْزَلَهُ مِنْهُ حَتَّى يَجْمَعَهُ»، وفي رواية: «... ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً، وَقَرَأَ: ﴿وَقَرَأْنَا فَوْقَهُ لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]».

وفي رواية لابن منده في «الإيمان» (رقم ٧٠٤): «أَنْزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَنْزَلَهُ جَبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...»، وفي رواية للنسائي (٧ / ٢٤٧): «فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا

الْعِزَّةَ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَسُمِّيَتْ «لَيْلَةُ الْقَدْرِ»؛ لِعِظَمِ قَدْرِهَا، وَجَلِيلِ فَضْلِهَا عِنْدَ رَبِّهَا جَلَّ وَعَلَا^(٢).

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ مُعْظَمًا شَأْنَهَا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟﴾

وَبَيَّنَ مِقْدَارَ فَضْلِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: الْعِبَادَةُ فِيهَا وَإِحْيَاؤُهَا بِالطَّاعَةِ يَعْدُلُ عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِي شَهْرٍ مِنْهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ زِيَادَةِ فَضْلِهَا، وَكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْثُرُ تَنْزُلُهُمْ فِيهَا، وَيَنْزِلُ مَعَهُمْ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ ﷺ، يَنْزِلُونَ بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ قَدَرَهُ اللَّهُ، وَنَزُولُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ زَادَ فِي فَضْلِهَا فَقَالَ: إِنَّهَا سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ فِيهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ^(٣).

فَجَعَلَ جَبْرِيلُ ﷺ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا.

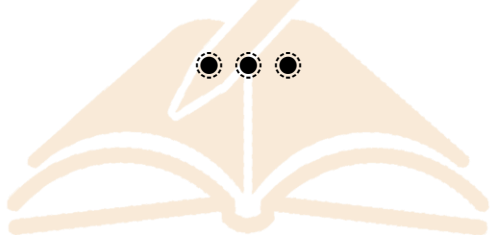
(١) وهو أيضا قول الربيع بن أنس، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، والسدي، وغيرهم.

(٢) وهو قول الأزهري كما عزاه البغوي في «تفسيره» (٨ / ٤٨٢)، وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٦ / ٣١٢) أيضا لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانی.

(٣) أخرج سعيد بن منصور كما في «تفسير ابن كثير» (٨ / ٤٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥ / رقم ٣٤٢٤)، وفي «فضائل الأوقات» (رقم ١١١)، بإسناد صحيح، عَنْ

وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِ قِيَامِهَا: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وَقَالَ فِي وَقْتِهَا: «التَّمَسُّوْهَا فِي أَوْتَارِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» (٢)، وَذَلِكَ مِنْ كُلِّ رَمَضَانَ.



جامعة

الشَّعْبِيُّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، قَالَ: «هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»، وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ مَنْصُورِ بْنِ زَادَانَ، وَالْحَسَنِ، وَالْكَلْبِيِّ، وَانْظُرْ: «تَفْسِيرُ الْمَاورِدِيِّ» (٦ / ٣١٤)، وَ«الدَّر» لِلْسَيُوطِيِّ (٨ / ٥٧٠).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (كِتَابِ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، بَابُ ١، رَقْمُ ٢٠١٤) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ، بَابُ ٢٥، رَقْمُ ٧٦٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (كِتَابِ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، بَابُ ٣، رَقْمُ ٢٠١٨) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (كِتَابِ الصِّيَامِ، بَابُ ٤٠، رَقْمُ ١١٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفَظٍ:

«... التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فِي كُلِّ وَتَرٍ...» الْحَدِيثُ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ (١):

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ الْوَحْيِ، وَإِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، مَعَ تَقْرِيرِ عَقِيدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

٢- وَفِيهَا: فَضْلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعُلُوُّ قَدْرِهِ، وَعَظِيمُ شَأْنِهِ، وَأَنَّهُ أُنْزِلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَعَظَمِهَا، وَأَنَّهَا تَعْدِلُ أَلْفَ شَهْرٍ خَالِيَةٍ مِنْهَا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الْحَثُّ عَلَى اغْتِنَامِ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ؛ كَهَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ، وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمْ.

